مجلة الجامعة الأسمرية: العلوم الشرعية والإنسانية
المجلد (31) العدد الثاني (ديسمبر 2018)

علم مقارنة الأديان وأهميته في الحقل الدعوي

محمد اوحيدة أحمد اوحيدة

كلية الدعوة وأصول الدين، الجامعة الأسمرية الإسلامية، زليتن، ليبيا.

Email: iwhida63@asmarya.edu.ly

المقدمة:

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على أنبيائه الذين اصطفى. وبعد، مقارنة الأديان تفاعل بين أتباع الأديان المتعددة؛ وذلك بما تحمله الأديان من معتقدات روحيّة متنوعة، وتقاليد دينية مختلفة، وقيم إنسانية مشتركة؛ سواء كان ذلك على مستوى الفرد، أم المجموع، وهو يختلف عن التوفيق بين المعتقدات، والتقريب بين الأديان الذي يظهر من وقت إلى آخر، والذي لا يجد له صدى، لأنه عملية ترقيع وتلفيق غير ذات قيمة.

والداعية الناجح لا يستطيع أن يقدم ما عنده بصورة تلامس الآخر إلا إذا درس أديانا أخرى، ووقف على الملل والنحل التي يدين بها غيره، والإسلام يحث على اكتساب المعرفة عموما، وعلى الحوار مع أهل الأديان الأخرى، وخاصّةً أهل الكتاب، قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[1].

[1] آل عمران، الآية:64.

ولكي يؤدي هذا التفاعل دوره بين أصحاب الأديان المختلفة؛ ينبغي الالتزام بآداب الحوار كما أرشد إليها القرآن الكريم، وعمل بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومنها؛ الابتعاد عن العنف بكافة أنواعه، والنأي عن التعصب بجميع صوره، وإعمال العقل والحجة، واعتماد أساليب البرهان والإقناع، واستخدام العلم وأساليبه، والاستقلالية في الرأي والتفكير، وتوجد العديد من الوسائل الحواريّة التي يمكن استخدامها؛ مثل الزيارات الميدانية، واللقاءات المشتركة، واستخدام أسلوب المناقشة الموضوعية مع العلماء والمتخصصين، والاطّلاع على الكتب المقدسة الخاصة بمن يتم التحاور معهم.

موضوع البحث:

يناقش هذا البحث موقف الإسلام من غير المسلمين، فيما يتصل بمدى احترام الإسلام لسائر الأديان، كما يوضح موقف الإسلام من غير المسلمين في سائر المعاملات، وسماحة الإسلام مع غير المسلمين، والتي بسببها يدخل الناس في دين الله أفواجاً، وهو دور علم مقارنة الأديان في المجال الدعوي.

فمظاهر وصور التسامح والمعاملة الأخوية مع غير المسلمين، هي التي تقرب الإسلام إلى الناس، وتجعلهم يدخلون في دين الله عن قناعة وإيمان، أما صور التعصب الممقوت التي يساء فيها إلى الإسلام؛ فإنها لا تشجع الناس إلى الدخول فيه، بل تدفعهم إلى النفور منه، والقرآن الكريم يبرز هذه الحقيقة، قال تعالى: ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[1]، وإن هذا المنهاج الرباني، الذي أنزله رب العزة سبحانه وتعالى على رسوله صلوات الله وسلامه عليه، والذي أمر الله تعالى فيه بالدعوة بالحكمة، والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن؛ لهو منهج دعوة، وليس إكراهاً ولا تشدداً ولا عنفاً، قال تعالى:﴿ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ

[1] البقرة، الآية: 256.

وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[1].

إن هذه الصور من أوضح الشواهد والدلائل على أن الدعوة إلى الإسلام لا تتأتى إلا بالخلق الحسن والمودة والعفو والإحسان إلى الناس، وبكل ما يحمله الإسلام من مبادئ وقيم إنسانية، وبتتبع مواقف ونماذج من سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم في تعامله مع الناس، نجد أنها تتسم دائما بالرحمة واللين والرأفة.

إن من طبائع الأشياء أن الذي يكره على شيء لا يثبت عليه، وإنما يتخلص منه إذا وجد سبيلاً إلى ذلك، ولكن عبر تاريخ الإسلام، وواقع المسلمين المعاصر، وما تعرضوا له من نكبات، وما حصل لهم من نكسات، وتسلط الأعداء عليهم، وقسوة حياة، وضنك معيشة، لم يلاحظ ظاهرة الرجوع عن الدين، وسبب ذلك أن انتشار الإسلام كان بفضل تعاليمه ومبادئه ومنهجه الذي يتسم بمنظومة من القيم مثل العفو عن المسيء، والصفح عن المخطئ، والإحسان عموما، وما لهذه القيم وأمثالها من أثر إيجابي في النفوس، قال تعالى:﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾[2]، وهذه الصور دليل على أن الإسلام ينتشر ويسود بالقدوة الحسنة، والخلق العظيم الذي تمثل في شيم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكريم سجاياه، ومعاملاته الإنسانية، وبره بالناس، ولين جانبه، وسماحته، ويسره، وحكمته، ورأفته، وعطفه، و رحمته، وحلمه، قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾.[3]

[1] النحل، الآية:125.

[2] فصلت، الآية: 34.

[3] آل عمران، الآية: 159.

أهمية البحث وأسباب اختيار موضوع البحث:

يكتسي هذا البحث المتواضع أهميته انطلاقا من كونه يعالج أحد المواضيع الأساسية في حقل الدعوة وهو علاقة الدعوة بعلم مقارنة الأديان، وأهمية هذا العلم في الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى؛ ذلك أن المعرفة لم تعد مقتصرة على علم دون آخر، وإنما أصبحت موضوعا مشتركا بين العلوم والمعارف؛ في ظل ما يشهده العالم من تواصل دائم على كافة الأصعدة، وهذه الأهمية كانت هي الدافع الأساس في اختيار موضوع هذا البحث، وهو ربط علم مقارنة الأديان بالحقل الدعوي، مع الاستفادة من كل ما هو متاح فكريا وتقنيا.

أهداف البحث:

أهداف هذا البحث تتجلى في كونه يسعى إلى تحقيق الآتي:

1) دراسة علم مقارنة الأديان تقوم على أن علاقة الإسلام بالأديان السماوية علاقة تكاملية، لأن جوهره هو جوهر كل الرسالات، ودعوة رسوله هي دعوة كل الرسل.

2) معرفة مدى مساهمة علم مقارنة الأديان في مقاربة وتفعيل المشترك الإنساني واستثماره في الحقل الدعوي.

3) التوصل إلى نتائج يمكن استغلالها من طرف الدعاة في تطوير أساليب ووسائل الدعوة من خلال الاستفادة المثلى من ما يقدمه علم مقارنة الأديان.

إشكالية البحث:

ينطلق البحث من فرضية أساسية تقوم على مجموعة من الأفكار المرتبطة بعلم مقارنة الأديان، وعلاقته بالدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، ويحاول البحث الإجابة عن الأسئلة الفرعية الآتية:

ما أهمية علم مقارنة الأديان في الدعوة إلى الله؟

ما علاقة علم مقارنة الأديان بالدعوة إلى الله سبحانه وتعالى؟

كيف يمكن الربط بين علم مقارنة الأديان، وبين الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى؟

الدراسات السابقة:

كما ذكرت في الفقرة السابقة؛ عند تقديمي لـ"إشكالية البحث" والتي لخصتها في فرضية أساسية تقوم على مجموعة من الأفكار، استنبطها من خلال مطالعتي ودراستي لما تيسر لي من المصادر والمراجع التي تناولت "علم مقارنة الأديان"، والمشار إلى عدد منها في المطلب الثاني من المبحث الأول من هذا البحث، وكذلك الدراسات الحديثة والمشار إلى عدد منها في ثنايا هذا البحث؛ فإني وعلى قدر ما توفر لي من مصادر ومراجع، فإني لم أعثر على كتاب أو دراسة أو بحث تناول فكرة هذا البحث المتواضع، والتي تركز على أهمية "علم مقارنة الأديان" في الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، وتحديدا الربط بين "علم مقارنة الأديان" و"الحقل الدعوي" في ظل المتغيرات الاجتماعية والسياسية والثقافية في الوقت الراهن.

المنهج المتبع في البحث:

إن المنهج الذي يتمشى مع طبيعة هذا البحث، والذي اخترته يتمثل في المنهج التاريخي، والمنهج التحليلي، ذلك أن موضوع هذا البحث يتطلب دراسة تاريخية تحليلية؛ تقوم على جمع المادة العلمية وفق التسلسل التاريخي، وتحليلها، ودراستها لبيان أهمية علم مقارنة الأديان في المجال الدعوي.

خطة البحث:

يتضمن البحث تمهيدا ومبحثين وخاتمة، وعلى النحو الآتي:

المبحث الأول؛ وسوف نتناول في هذا المبحث جذور علم مقارنة الأديان، وسنقسمه إلى ثلاثة مطالب؛ ندرس في المطلب الأول عوامل نشأة علم مقارنة الأديان، ونبرز ما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية عن علم مقارنة الأديان، ونناقش في المطلب الثاني علم مقارنة الأديان عند علماء المسلمين، وفي المطلب الثالث نتناول مناهج دراسة مقارنة الأديان عند علماء المسلمين.

والمبحث الثاني؛ وسوف نتناول فيه مسألة ذات أهمية، وهي ضعف الاهتمام بعلم مقارنة الأديان عند علماء المسلمين، وانتقاله إلى الغرب، ثم إحيائه من جديد من قبل العلماء والباحثين المسلمين، والذي سنقسمه إلى مطلبين؛ في المطلب الأول نناقش مسألة ضعف الاهتمام بعلم مقارنة الأديان عند علماء المسلمين، ثم ندرس كيفية انتقاله إلى الغرب، وفي المطلب الثاني نتتبع مراحل إحيائه من جديد لدى علماء الإسلام ومفكريه وآلية ربطه بالدعوة.

وأخيرا خاتمة نوجز فيها نتائج هذا البحث.

ونسأل الله تعالى جلت قدرته العون والتوفيق والسداد.

تمهيد:

علم مقارنة الأديان لم يعرف قبل الإسلام؛ لأن الأديان قبل الإسلام لم يعترف أي منها بالآخر، وكان كل دين يعد ما سواه من الأديان نوعاً من الهرطقة والضلال والخروج عن الإجماع، وهذا ما نلمسه في موقف اليهودية من النصرانية، وموقف النصرانية من اليهودية؛ فاليهودية لم تعترف بالنصرانية، ولم تؤمن بالمسيح عليه السلام، والنصرانية اعتبرت نفسها وريثة اليهودية، ولم تَرَ مع وجودها وجودًا لليهودية، والأمر كذلك في الأديان الوضعية، فمثلا موقف الهندوسية من البوذية، والبوذية من الهندوسية الإنكار وعدم القبول، بل وصل الأمر إلى أكثر من ذلك، فقد أنكرت كل طائفة دينية جميع الطوائف الأخرى المنتسبة لنفس الدين، وعدّت اتجاهاتها هَرْطَقة وضلالًا[1]، قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾[2].

[1] ينظر: أحمد شلبي، اليهودية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط8، 1988م، ص29.

[2] البقرة، من الآية:112.

وهذا الاتجاه كان هو الاتجاه العام بين الأديان وبين المذاهب، ومن هنا يتضح تاريخيا أنه لم يوجد علم مقارنة الأديان قبل الإسلام؛ لأن المقارنة نتيجة للتعدد، وليس التعدد معترفًا به عند أحد، فلم يوجد ما يترتب عليه، وهو المقارنة[1]، و"أن دراسة الملل والنحل والأديان والمذاهب دراسة تاريخية تحليلية مقارنة، لهو أمر من صميم الثقافة الإسلامية والتراث الإسلامي، بل إننا لا نعدو الصواب إذا قلنا أن الأبوة الشرعية لهذا الحقل العلمي تكمن في هذه الثقافة الإسلامية وتراثها الخالد، ولا ريب عندنا أنه قد كان لتوجيهات القرآن الكريم أبلغ الأثر وأعمقه في نشأة هذا الفرع العلمي، ووضع أصوله، ومنهج بحثه، وقواعد دراسته"[2]، وعلم مقارنة الأديان من العلوم الأساسية في تكوين الداعية علميا، فهو يقدم للمسلم معرفة قيمة عن الأديان الأخرى، وهو واجب علمي تقتضيه الضرورة الملقاة على عاتق الدعاة لتوضيح الحق بطريق علمي بعيدا عن الأهواء، وفي ذات الوقت يؤكد ثقة المسلم في دينه الذي ارتضاه سبحانه وتعالى دينا، مصداقا لقوله عز وجل: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾[3].

وعلم مقارنة الأديان له الأهمية الكبرى في الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، فإن المتأمل في القرآن الكريم والسنة النبوية يجد أسس الحوار مع مختلف الأديان، وأهل الكتاب منهم خاصة، فالوحي الذي جاء به سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم قد كشف لنا كيف ضل الناس وانحرفوا عن المسار القويم وعن توحيد رب العالمين، وهي دعوة جميع الرسل والأنبياء الذين بعثهم الله سبحانه وتعالى، وهي الحقيقة التي يؤمن بها المسلم يقينا، إلا أن دراسة الأديان الأخرى تسهم في فتح آفاق الحوار مع الآخر، والفهم العميق لما يحمله من فكر وعقيدة.

---

[1] ينظر: أحمد شلبي، المرجع السابق، ص29.

[2] محمد الشرقاوي، مقارنة الأديان: بحوث ودراسات، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 2002م، ص9.

[3] المائدة، من الآية:4.

والقرآن الكريم الذي هو كتاب هداية لكل البشرية قد ذكر الله عز وجل فيه الأديان السابقة وعرض أحوالها، مما ينير الأذهان ويفتح أمامها آفاق المعرفة من أجل المقارنة والموازنة، وهو حافل بالعديد من الآيات الكريمة التي تبرز عقد المقارنات بين الأديان، وإن من الأعمال الدعوية التي قام بها النبي صلى الله عليه وسلم التواصل مع الناس، وإعلام العالم برسالة الإسلام؛ ليثبت أن هذا الدين دين عالمي، جاء لخير البشرية، مصداقا لقوله سبحانه تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[1]، وإن مما لا ريب فيه أن منهج القران الكريم هو الدعوة للتوحيد الخالص لله سبحانه وتعالى، وهذا ما يجب على الداعية أن يلتزم به ولا يحيد عنه، فالقران الكريم يكشف للداعية طرق وأولويات التخاطب مع أصحاب الأديان الأخرى، ويضع الخطوط العريضة لأسس الحوار مع مختلف الأديان.

المبحث الأول: جذور علم مقارنة الأديان

ينقسم هذا المبحث إلى ثلاثة مطالب؛ ندرس في المطلب الأول عوامل نشأة علم مقارنة الأديان، ونشير إلى ما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية عن علم مقارنة الأديان، ونناقش في المطلب الثاني علم مقارنة الأديان عند علماء المسلمين، وفي المطلب الثالث نتناول مناهج دراسة مقارنة الأديان عند علماء المسلمين.

المطلب الأول: عوامل نشأة علم مقارنة الأديان

لقد قام منهج الإسلام على الأمر بالعدل والعمل به في كل مناحي الحياة، ومنع الظلم بكل صوره؛ من خلال منظومة الأحكام التي وضعها الإسلام بما يكفل العمل بالحق، ويضمن تحقيق العدل القائم على احترام الحقوق، وتمكين الفضيلة؛ هذه القيم النبيلة هي التي جعلت علماء الإسلام يقدمون الإسلام على

[1] الأنبياء، الآية:106.

حقيقته، منطلقين من رسالة الإسلام السامية، وهي أن الإسلام هو الدين الذي ارتضاه سبحانه وتعالى للناس كافة، مع اليقين بأن اختلاف الناس في أديانهم وعقائدهم أمر قدره الله سبحانه وتعالى، لحكمة عظيمة وغاية جليلة، وهي الابتلاء والاختبار، قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾[1]، والمراد بالاختلاف هنا الاختلاف في الدين، وليس الاختلاف في الجنس أو العرق أو اللون ونحوها.

ولقد أسهمت مجموعة من العوامل في ظهور علم مقارنة الأديان، منها؛ أن القرآن الكريم دعا إلى معرفة الأديان، والعامل الأبرز هو اختلاط المسلمين مع أصحاب الديانات الأخرى، ومناقشتهم لهم في الأمور والمسائل الدينية، والذي كان له أثر مباشر في نشأة هذا العلم لدى مفكري الإسلام، وكذلك روح التعايش السلمي السائد بين أوساط المسلمين ومن يعيش معهم، فقد كان لتسامح الإسلام وبخاصة مع أهل الكتاب، وتقريره مبدأ أن لا "إكراه في الدّين" أثره في دفع المسلمين للتعرف على الأديان الأخرى ومناقشتها، واتساع مجال الحرية الفكرية في الإسلام، فالخليفة المأمون كان – مثلاً– يعقد المجالس للمناقشة في الأديان والمذاهب والفرق، ثم الأمر الأكثر أهمية وهو تقديم الإسلام بوصفه الدّين الحق، ومواجهة تحديات الأديان الأخرى، كتابية كانت أم وضعية، ولا شك أن هذا السبب يعد السبب الأبرز لنشأة هذا العلم؛ حيث كان الغرض الحقيقي من المناقشات والحوارات حول الأديان هو إظهار أن الدّين الصحيح هو الإسلام[2].

وفي هذا المقام نشير إلى إن دراسة علم مقارنة الأديان تقوم على أن علاقة الإسلام بالأديان السماوية علاقة تكاملية، لأن جوهره هو جوهر كل

[1] هود، الآية : 118.

[2] ينظر: أبو عمار الأثري، مدونة أبو عمار الأثري، مدخل إلى علم مقارنة الأديان، مقدمة، الرابط:

https://nottansser2.wordpress.com/%D%8A%7D%84%9D%8A%7D%83%9D%8A%7D%8.

الرسالات، ودعوة رسوله هي دعوة كل الرسل، وأما ما اختصت به العقيدة الإسلامية الخاتمة من شرائع وأحكام فهذا مدلول معين على شريعة معينة هي الشريعة الإسلامية، وعلاقة الإسلام بالأديان الأخرى تقوم على أساس تصديق القرآن لما بين يديه من الكتب والهيمنة عليها، والقرآن الكريم جاء مصدقاً لما قبله من الكتب، وقد أخذ رب العزة سبحانه وتعالى على كل نبي إذا جاء رسول مصدق لما معه أن يؤمن به وينصره.

إن جذور علم مقارنة الأديان متأصلة في القرآن الكريم والسنة النبوية، فهما أول من أشار إلى هذا العلم، كما أن أصول هذا العلم مستمدة منهما، ففي العديد من الآيات الكريمة نجد أن القرآن الكريم يحث النبي صلى الله عليه وسلم على مجادلة أهل الكتاب وغيرهم من أصحاب الأديان والملل والأخرى، ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[1]، ففي هذا النص أمر من الله سبحانه وتعالى إلى المسلمين أن يعلنوا عقيدتهم التي تحترم الرسالات السماوية كلها، وتؤمن بالمرسلين أجمعين، وتسلم القلب والقالب لله الواحد الأحد[2]، قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ﴾[3]، و "إن هذا النص الكريم يقدم النزاهة والحيدة في موضوع الجدال، ويدفع بالخصم إلى التأمل الواعي، والتفكير المستنير، ويأخذه برفق وحلم وأناة كي يستبين الحق ويدرك الحقيقة، ويؤكد أن البشر جميعاً سيقفون أمام الخالق الأعظم للحساب والجزاء، وأن المسؤولية الفردية تجعل كل إنسان على حذر وحيطة"[4].

---

[1] العنكبوت، الآية: 46.

[2] ينظر: محمد الميسر، المدخل لدراسة الأديان، دار الندى، مصر، ط1، 2001م، ص 128.

[3] سبأ، الآية: 24، 25، 26.

[4] محمد الميسر، المرجع السابق، ص 129.

وهناك العديد من المجادلات وقعت بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين اليهود والنصارى، والتي بدورها أدت إلى دخول الكثير منهم في الإسلام، كعبد الله بن سلام، وثعلبة بن سعيد، وأسد بن عبيد([1])، ونذكر من هذه المجادلات على سبيل المثال؛ مجادلة النبي صلى الله عليه وسلم مع وفد نصارى نجران حين قالوا: كيف تقول في إلهنا إنه عبد الله ورسوله، وما هو إلّا إله تولد من مريم الإلهة، إنه إله؛ لأنه ولد من غير أب، لقد ولد من أم بلا أب، فَنَزَلَ قوله تعال: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللهُ وَإِنَّ اللهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[(2)].

وقد أورد ابن شيبة الكوفي محاورة بين الرسول صلى الله عليه وسلم وبين عدي بن حاتم الطائي، الذي كان قد اعتنق المسيحية[(3)]، وهي تعد ظاهرة بارزة في علم مقارنة الأديان، وقد انتهت بإعلان عدّي دخوله الإسلام، وتبعه قومه على ذلك.

ولقد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم مدلول الحوار بين الأديان في كتابه إلى هرقل عظيم الروم، وهو يتضمن الدعوة إلى الإسلام، لا التقريب بين ما يدين به هرقل ودين الإسلام، يقول صلى الله عليه وسلم: (من محمد عبد الله

---

[1] ينظر: محمد سيد طنطاوي، أدب الحوار في الإسلام، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة،1997م، ص55 وما بعدها.

[2] آل عمران، الآية: 59-61، ويقول ابن كثير – رحمه الله-: كان سبب نزول هذه الآية وما قبلها -من أول السورة إلى هذه الآية- وفد نجران، فهذا الوفد من النصارى لما قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم جعلوا يحاجون في عيسى صلى الله عليه وسلم ويزعمون فيما يزعمون من النبوة والألوهية، فأنزل الله صدر هذه السورة – آل عمران- رداً عليهم. ينظر: تفسير القرآن العظيم/ ابن كثير(2/49-50).

[3] ينظر: المصنف في الأحاديث والآثار، ابن شيبة الكوفي، تح: كمال يوسف الحوت، باب: إسلام عدي بن حاتم الطائي(342/7).

ورسوله إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين)[1]، ثم قرأ قوله تعالى:﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شيئاً وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[2].

المطلب الثاني: علم مقارنة الأديان علم إسلامي

إن علم مقارنة الأديان علم إسلامي، حيث اتجه علماء الإسلام منذ منتصف القرن الثاني الهجري إلى تناول الأديان دراسة ووصفا وتحليلا ونقدا، وعُرفت جذور هذا العلم قديما ولأول مرة في الفكر الإسلامي بأسماء متنوعة وبمناهج عدة؛ وأطلق على هذا الحقل المعرفي مسميات عدة؛ فقد عُرف في كتب أصول الدين والعقائد، من باب الرد على المخالف، وعرف أيضا باسم الملل والنحل.

وتهدف دراسة مقارنة الأديان إلى إبراز مكانة الإسلام بين الأديان؛ فهو مرتبط بالتعريف بالإسلام، والدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، فقد تناول القرآنُ الكريم فيما تناول أديانا غير الإسلام؛ فتنبه المسلمون إلى دراسة الأديان جميعا سماوية كانت أم وضعية.

ولمّا جاء عصر التدوين في منتصف القرن الثاني الهجري، وبدأ المسلمون يكتبون الفقه والتفسير والحديث، اتجهوا كذلك للكتابة في علم مقارنة الأديان، فهو بذلك علم إسلامي، كباقي العلوم الإسلامية، ثمّ عقدت إبان الدولة العباسية العديد من المناظرات العقدية التي كانت تجرى بين الحين والآخر بين كبار علماء اليهود والمسيحيين والمسلمين وغيرهم، وقد كان لبعض الخلفاء كالمأمون

[1] أخرجه البخاري في كتاب "بدء الوحي"، حديث رقم (7)، الإمام البخاري، الجامع الصحيح، تح. محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة، ج1، ص17.

[2] آل عمران، الآية: 63.

دور في تشجيع هذه المناظرات، وتعد هذه المناظرات إحدى ملامح مقارنة الأديان.

ومما يلاحظ أن ذلك بدأ بشكل فردي ثم توسع شيئا فشيئا؛ بحيث نراه مرافقاً للحركة الفكرية والدينية التي ظهرت في عصر الخليفة العباسي المأمون[1]، ومما يذكر في هذا السياق، الحوارات التي كانت تجرى بين هارون الرشيد وطبيبه المسيحي، وجرت حوارات عديدة بين علماء مسلمين ونصارى، كالحوار الذي جرى بين ابن الطّلاع ونصراني من قرطبة، وحوارات ابن رشيق القيرواني وقسيس من مراكش[2]، و"أن تسامح المسلمين في حياتهم مع اليهود والنصارى لم يعرف مثله في العصور الوسطى، وبسبب من ذلك أُلحِق بمباحث علم الكلام علم مقارنة الملل الذي لم يكن معروفا في العصور الوسطى".[3]

وتطور علم مقارنة الأديان، وكثرت فيه الدراسات والمؤلفات منذ بداية القرن الثالث الهجري إلى حدود القرن التاسع الهجري، ومن مشاهير علماء الإسلام الذين كتبوا في مقارنة الأديان:

- النوبختي، المتوفى سنة 202 هـ، وكتب (الآراء والديانات)، ويعد الباحثون هذا الكتاب أول كتاب في علم مقارنة الأديان.
- الجاحظ، المتوفى سنة 255 هـ، وكتب (الرد على النصارى).
- المسعودي، المتوفى سنة 346هـ، وكتب (المسائل والعلل في المذاهب والملل)، و(سر الحياة) و(المقالات في أصول الديانات).
- أبو الحسن العامري، المتوفى سنة 381 هـ، وكتب(مناقب الإسلام).
- أبو منصور البغدادي، المتوفى سنة 429 هـ، وكتب (الملل والنحل).

---

[1] ينظر: حسن الباشا، علم مقارنة الأديان أصوله ومناهجه ومساهمة علماء المسلمين والغرب في تأصيله، دار قتيبة، سوريا، ط1، 2011م، ص 31-32.

[2] ينظر: إبراهيم التركي، علم مقارنة الأديان عند مفكري الإسلام، دار الوفاء، مصر، ط2002،1م،،ص 57.

[3] آدم ميتز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري،، ترجمة: محمد الهادي أبوريدة، الدار التونسية للنشر، تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1986م، ج1، ص342-343.

- أبو الريحان البيروني، المتوفى سنة 440 هـ، وكتب (تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة).
- ابن حزم الأندلسي، المتوفى سنة 456 هـ، وكتب (الفصل في الملل والأهواء والنحل).
- الغزالي، المتوفى سنة 505 هـ، وكتب(الرد الجميل لألوهية عيسى بصريح الإنجيل).
- أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، المتوفى سنة 548 هـ، وكتب (الملل والنحل).
- أحمد بن إدريس القرافي، المتوفى سنة684 هـ، وكتب(الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة).
- ابن تيمية، المتوفى سنة 728 هـ، وكتب (الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح).
- ابن قيم الجوزية، المتوفى سنة 751 هـ، وكتب(هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى).

وفي القرآن الكريم آيات كثيرة متصلة بمقارنة بين الأديان، تحدث فيها عن الأديان سماوية كانت أو وضعية، فكما تحدث عن اليهود واليهودية، والمسيح والمسيحية، تحدث كذلك عن عبدة الأصنام والطاغوت والملائكة، وسماها القرآن أديانًا مع بطلانها، قال تعالى:﴿لكم دينكم ولي دين﴾[1]، كما شهد علم مقارنة الأديان تطورا آخر، بقيام العلماء بترجمة الإنجيل والتوراة المتداولة عند معتنقي اليهودية والنصرانية، ففي عهد الخليفة هارون الرشيد وجدت ترجمة للتوراة والإنجيل قام بها أحمد بن عبد الله بن سلام بن خليفة، ولقد كانت هناك ترجمات عربية أخرى قام بها اليهود والنصارى لكي يستعينوا بها في أداء عبادتهم والتفقه في دينهم[2].

[1] الكافرون، الآية:6.

[2] أبو عبد الله الزنجاني، تاريخ القرآن، تقديم أحمد أمين، ط3، ص12.

المطلب الثالث: مناهج دراسة مقارنة الأديان عند علماء المسلمين

تنوعت مناهج علماء المسلمين في دراسة الأديان، منها؛ المنهج الجدلي أو النقدي، ومن العلماء الذين تبنوا هذا المنهج الغزالي في كتابه (الرد الجميل لألوهية عيسى بصريح الإنجيل)، وابن تيمية في كتابه (الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح)، والمنهج التحليلي المقارن، ومن أبرز رواد هذا المنهج أبو الحسن العامري في كتابه (الإعلام بمناقب الإسلام)، والمنهج التحليلي النقدي، وارتبط هذا المنهج بابن حزم في كتابه المميز(الفصل في الملل والأهواء والنحل).

والمنهج الوصفي؛ وهو من أبرز المناهج، ويعد الشهرستاني والبيروني من أكبر ممثلي هذا المنهج قديما؛ حيث أبرز الشهرستاني هذا المنهج في كتابه (الملل والنحل) التي بدأ بها دراسته، وذكرها في الصفحات الأولى من كتابه (الملل والنحل)، والتي تقوم على خمس مقدمات ذكر فيها بيان أوّل شبهة وقعت في الملّة الإسلامية وكيفية تشعبها ومصدرها ومظاهرها، وبيان السبب الرئيس الذي أوجب ترتيب كتابه على طريق الحساب، وبيان تقسيم أهل العالم جملة، وبيان قانون يبني عليه تعداد الفرق الإسلامية، وبيان أوّل شبهة وقعت في الخليقة؛ والمحلل لهذه المقدمات المنهجية الخمس يدرك أنّ هناك تصوراً منهجياً كاملاً لدى الشهرستاني جعله أساساً لدراسته الشهيرة، ويتضح من خلال المقدمة الأولى إدراكه لاختلاف الأديان وانقسامها نظراً لاختلاف أهل العلم وانقسامهم إلى شعوب وجماعات[1].

كما يتضح لدارس (الملل والنحل) القيمة العلمية لهذا المؤلف في حقل علم تاريخ الأديان، فقد عالج فيه مشاكل منهجية؛ منها مشاكل تخص المقارنة بين

[1] ينظر: محمد بن أبي القاسم عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، الملل والنحل، تح. أبي محمد بن فريد،ج1، المكتبة التوفيقية، القاهرة، ص19-56.

الأديان والفرق، ووسائل تفسير الظاهرة الدينية، وكلّها من جوهر المنهج الحديث لعلم مقارنة الأديان[1].

ومن المعاصرين الذين سلكوا هذا المنهج إسماعيل راجي الفاروقي في كتابه (الملل المعاصرة في الدين اليهودي)، وعرفان عبد الحميد فتاح في كتابه (النصرانية: نشأتها التاريخية وأصول عقائدها)، ومن المعاصرين أيضا محمد عبد الله دراز، وأحمد شلبي، ومحمد أبو زهرة، ومحمد الشرقاوي.

وأما المنهج المتكامل، فهو المنهج الذي سلكه ابن القيم الجوزية؛ حيث يعد منهجًا وصفيًا استقرائيًا نقديًا مقارنًا، فهو منهج وصفي لأنه يستند إلى التحليل باستقراء الجزيئات وتصنيفها وترتيبها، مع التوثق والتأكد من صحة نسبة الأقوال ومناقشتها، وما يكتنفها من شروح وتفسيرات، وهو منهج استنباطي لأنه يستخدم القواعد الأصولية واللغوية، وينطلق من الجزئيات إلى الحقائق العامة، وهو منهج مُقارن، لأنه يقابل الآراء والأقوال ببعضها ويوازن بينها، ويعد كذلك منهجا تاريخيا، لأنه يبحث في التاريخ كلما كان الأمر يتطلب ذلك، وبذلك كان المنهج والطريقة التي سلكها ابن قيم الجوزية منهجًا متكاملاً وطريقة في البحث شاملة.[2]

وإذا كان علم "مقارنة الأديان" يعني في العصر الحديث أن تُتَّخذ الأديان، سماوية أو وضعية، والعقائد الدينية، أو الملل والنحل موضوعًا للدراسة العلمية بمناهج موضوعية لها أصولها وخصائصها وضوابطها التي اصطلح عليها أهل هذا الحقل؛ فإن الفكر الإسلامي منذ القرن الثاني للهجرة قد انفتح على أديان العالم، وجعلها موضوعًا مستقلًا للدراسة والبحث، ووضع العلماء لذلك مناهج علمية سديدة كما أشرنا سابقا؛ فوصفوا أديان العالم وحللوها وقارنوها وأرَّخوا لها وانتقدها، وكانوا يستمدون أوصافهم لكل ديانة من مصادرها الموثوق بها،

[1] المرجع السابق، ص60.

[2] ينظر: عثمان جمعة ضميرية، مقدمة لكتاب: هداية الحيارى، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط1، 1429هـ، ص56-57.

ويستقونها من منابعها الأولى... وهكذا فإنهم بعد أن اختطوه علمًا مستقلًا، اتخذوا له منهجًا علميًّا سليمًا، أساسه الحق والخير الذي هو ركن أصيل من أركان الإسلام، وان النشاط الدعوي فريضة مستمرة في كل زمان ومكان.[1]

وابن حزم الأندلسي في مصنفه الشهير :(الفصل في الملل والأهواء والنحل) من أبرز من تناول هذا العلم، والذي اتَّسم بمنهجية علمية تمثلت في أنه كان لا ينقد إلا النص الواضح الذي لا يحتمل التأويل، فكل ما له وجه من التأويل، ولو ضعيفًا أعرض عنه إلى غيره ليكون أبلغ في الرد "ولو كان لهذا الخبر وجه وإن غمُض، ومخرج وإن بَعُد، أو أمكنت فيه حيلة، أو ساغ فيه تأويل ما ذكرناه"[2]، وكذلك مراعاته للسياق في نقده للنصوص، وهو منهج معروف في فَهْم النصوص ونقدها، وقاعدة عقلية يقتضيها الفَهْم السليم والترتيب المنطقي، فلا يجوز أن نجتزئ النصوص ونفهمها فهمًا لا علاقة له بالسياق الذي وردت به، "فلا بد – أيضًا– أن نفهم الكلمات وِفْقًا للسياق، وهذا ما يُعْرف باسم قاعدة السياق، ومضمونها: أنه يجب ألا نفهم عبارة أو كلمة إلا وِفْقًا للسياق الذي وجدت به..."[3]، ومن تطبيقات هذه القاعدة في كلامه حين ردّ على ما نسب إلى يعقوب عليه السلام من أنه صارع الإله، ولم يستطع الإله أن يصرعه، فجادله بعضهم في ذلك، وقالوا إن يعقوب صارع مَلَكًا من الملائكة، فقال لهم: "سياق الكلام يبطل ما تقولون ضرورة"[4]، كذلك فإن ابن حزم لا يترك للمخالف أي شبهة يستمسك بها؛ فكان يرد على كل شبهة يرى أن المخالف يمكن أن يتكئ عليها، ومن تلك الشبهات التمسك بفهم سقيم لبعض الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، فكان يبطل الشبهات، ويبين الفهم الصحيح للآيات والأحاديث النبوية.

---

[1] ينظر: محمد عبد الله دراز، الدين، بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، دار القلم للنشر والتوزيع، القاهرة، 2006م، ص244.

[2] ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، دار الجيل، بيروت، ج1، ص236.

[3] عبد الرحمن بدوي، مناهج البحث العلمي، وكالة المطبوعات، الكويت، ط3، 1977م، ص 207.

[4] ابن حزم، مرجع سابق، ج1، ص107.

ومن ذلك قوله: "فإن قال قائل جاهل: ففي القرآن أنه قال:﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ﴾[1]... نقول: ردًّا على من قال عن الأنبياء في التوراة أنهم لا يثقون بالله عز وجل حتى يطلبوا برهانًا، فإنما طلب –أي إبراهيم عليه السلام– ذلك ليطمئن قلبه المنازع له إلى رؤية الكيفية في ذلك فقط".[2]

المبحث الثاني: اهتمام غير المسلمين بعلم مقارنة الأديان

سنتناول في هذا المبحث مسألة ذات أهمية، وهي ضعف الاهتمام بعلم مقارنة الأديان عند علماء المسلمين، وانتقاله إلى الغرب، ثم إحيائه من جديد من قبل العلماء والباحثين المسلمين، والذي سنقسمه إلى مطلبين؛ في المطلب الأول نناقش مسألة ضعف الاهتمام بعلم مقارنة الأديان عند علماء المسلمين، ثم ندرس كيفية انتقاله إلى الغرب، وفي المطلب الثاني نتتبع مراحل إحيائه من جديد لدى علماء الإسلام ومفكريه وآلية ربطه بالدعوة.

المطلب الأول: ضعف الاهتمام بعلم مقارنة الأديان عند علماء المسلمين

بعد قرون من النشاط والحركة والبحث والكتابة في علم مقارنة الأديان لدى علماء ومفكري الإسلام تسرب الضعف لهذا العلم، ومرد ذلك عدة أسباب منها: ازدحام قصور الملوك والخلفاء في عصور الضعف بعدد من الوزراء والموظفين والأطباء من غير المسلمين، فاستطاع هؤلاء بسبب نفوذهم أن يسكتوا أصواتا للمتحدثين والمؤلفين في علم مقارنة الأديان؛ لطعنهم في عقائدهم المنحرفة، ونتج عن ذلك ضعف الاهتمام بهذا العلم، وزحف الحملات الصليبية على الشرق الإسلامي، فخفت صوت المجادلات والمحاورات التي يتولد منها علم مقارنة الأديان تحت صليل السيوف، وكذلك غلبة الاشتغال بالفقه على الحركة العلمية في هذه المرحلة، مما أدى إلى تراجع اهتمام العلماء ودراستهم لعلم مقارنة الأديان، والأمر الأكثر بروزا هو تبني بعض المسلمين الاتجاه الذي كان سائدًا

[1] البقرة : من الآية 259.

[2] ابن حزم، مرجع سابق، ج1، ص236.

لدى أتباع الأديان الأخرى، وهو عدم إمكان المقارنة بين الأديان، حيث لا يعترفون بغير دينهم، وبالتالي لا يعترفون بإمكان المقارنة، وتمسك بعض المسلمين بهذا الاتجاه، وهاجموا علم مقارنة الأديان؛ على اعتبار أن الإسلام لا يقارن بسواه، وأخيرا عدم اهتمام الحكام بالعلم والعلماء كما كان أسلافهم من قبل، كالخليفة هارون الرشيد والمأمون والمعز لدين الله الفاطمي، وغيرهم من الخلفاء والأمراء الذين كانوا يرعون العلم والعلماء[1].

وإذ كان المسلمون في عصور الضعف قد أهملوا علم مقارنة الأديان لسبب أو لآخر، فإن موقف النصارى من هذا العلم كان مختلفًا تمامًا، فقد اهتموا بهذا العلم اهتماما كبيرا، ويرجع ذلك إلى ما قبل القرن التاسع عشر الميلادي؛ لأن اللقاءات السلمية التي كانت بين المسلمين والمسيحيين في الشام والأندلس وصقلية عرفتهم بعلم مقارنة الأديان، وأثبتت لهم قيمة هذا العلم، فأقبلوا على دراسته، وحاولوا الانتفاع به، ثم جاء عصر الاستعمار، والذي عمل فيه المنصرون على استغلال كل الظروف الممكنة، منطلقين من أن الإنسان به نزعة دينية مهما كان ماديًّا، فتم استغلال هذا الحقل المعرفي لغايات التنصير، ولذلك ازداد اهتمامهم بعلم مقارنة الأديان ليكون من وسائل التنصير ونشر المسيحية، كما ظهر الاهتمام بهذا العلم بصورة ملحوظة في أوائل القرن العشرين بوجود دراسات وأبحاث ودوائر معارف كاملة عن الأديان، وفتح أقسام علمية، وإنشاء كراسٍ لهذا العلم في الجامعات والمعاهد ومراكز البحوث.

وأكثر من أهتم بمقارنة الأديان هم اليهود والنصارى، الذين لم يعترفوا بهذا العلم إلا مع بدايات القرن الخامس عشر الميلادي فيما يعرف بعصر النهضة[2]، وزاد الاهتمام لديهم بهذا المجال في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي تقريبا، حين تنبه رجال الدين والساسة إلى ظاهرة الأديان وآثارها على

---

[1] ينظر: أحمد شلبي، اليهودية، ص 28- 30.

[2] محمد خليفة حسن أحمد، علاقة الإسلام باليهودية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، مصر، 1988م، ص68-69.

نواحي الحياة المختلفة[1]، وأن الدين هو الدافع الرئيس لتحريك الناس، علاوة على أن الدين هو من أهم الأسباب والعوامل المؤثرة في تاريخ البشرية؛ فظهرت دراسة الأديان، والتعمق في كنهها وحقائقها؛ من باب أن الإنسان سيكون أكثر سعادة، إذا ما عرف كيف يفكر غيره، فتقلّ المنازعات بسبب الدين، ويعترف كلٌّ بصاحبه من منظور التعددية، فتوجهت الجهود نحو هذا الاتجاه، فخرج هذا العلم بشكل أكاديمي لأول مرة في التاريخ الغربي، وتباينت التسمية بناء على الخلفية الفكرية، والدافع الديني أو العلمي أو السياسي؛ فيسمى بعلم اللاهوت، أو علم الإلهيات، أو دراسات الأديان، أو تاريخ الأديان، وغيرها من التسميات[2].

إنّ الفكر الإسلامي هو السبّاق لهذا العلم كما أوضحنا[3]، ولكن بعد ضعف المسلمين اتّجه الفكر الغربي نحو هذا العلم مبرزا أهميته من جديد، فأصبحت كبريات الجامعات الغربية تهتم بهذا الحقل المعرفي، وأخذ هذا العلم طابعاً معرفياً مميزاً عند الغرب[4]، فظهرت عدّة تسميات كما ذكرنا، لكن فضلت التسمية "مقارنة الأديان"، وقد تعرض علم مقارنة الأديان في الغرب لمقاومة شديدة من التيار اللاهوتي المسيحي، ومن بعده الفكر الماركسي؛ لكن بالرغم من هذه المقاومة، فلم يمنع ذلك نمو علم مقارنة الأديان لدى الغرب نمواً واسعاً، ولاسيما منذ مطلع القرن العشرين.

---

[1] ينظر: إبراهيم مذكور، في الفلسفة الإسلامية، دار المعارف، القاهرة، 1968م، ج2، ص29.

[2] للمزيد: يمكن الرجوع إلى المواقع الرسمية للجامعات الغربية التي بها أقسام علمية لدراسات الأديان، وعلى سبيل المثال، جامعة تشارلز بمدينة براغ في جمهورية التشيك، موقع الكلية: www.etf.cuni.cz ، وأيضا جامعة فرجينيا في الولايات المتحدة الأمريكية موقع الجامعة: www.uga.edu/islam، وكذلك الدراسة الشاملة عن دراسة الإسلام في الجامعات الأمريكية بعنوان: الإسلام في المناهج الغربية المعاصرة، د. محمد وقيع الله أحمد، ط1،2006م.

[3] للمزيد: يرجع إلى أمهات الكتب التي ذكرنا عددا منها في المطلب الثاني من المبحث الأول من هذا البحث.

[4] ينظر: أحمد شلبي، المرجع السابق، ص29.30.

المطلب الثاني: إحياء علم مقارنة الأديان وآلية ربطه بالدعوة

لقد أفاق المسلمون في العصر الحديث بعد أن أهملوا هذا العلم واهتم به الغربيون، وبدأت المحاولات لاستعادة علم مقارنة الأديان وإحيائه، وقد قطع العلماء المعاصرون شوطًا كبيرًا في هذه الدراسات، وبدأ الدعاة المسلمون يطبقون قواعد هذا العلم وهم يقومون بالدعوة إلى الإسلام، وبدأت المؤلفات تظهر من جديد في علم مقارنة الأديان، إلا أنه لم يأخذ مكانه اللائق به في المعاهد والمؤسسات العلمية الإسلامية، وبصورة تسهم في تقديم الإسلام على حقيقته، وبما يساعد في كشف زيف أهل الأديان والمذاهب الأخرى وباطلهم[1].

فعلم مقارنة الأديان يقدم للداعية الدليل القوي والبرهان الناصع والحجة المتينة، كما يبين له يسر كتاب الله، ومكانته العظمى من الكتب الأخرى، ووضوح عقائده وكمال شرائعه وعلو آدابه وأخلاقه، وهذا الذي يجذب الكثير من كبار علماء اليهود والنصارى وغيرهم إليه، حيث أدركوا ضعف دياناتهم والخلل الذي تتسم به عقائدهم، وتناقض كتبهم وانقطاع سندها، فكتبوا وحققوا مخطوطات ووثائق نادرة أسهمت في تنمية علم مقارنة الأديان[2].

ومقارنة الدين الإسلامي بغيره من الديانات لا يعد استنقاصا له، أو إجحافا في حقه، بل ذلك يؤكد ثقة المسلم بدينه، وإثبات تفوق الإسلام على غيره من الديانات الأخرى، فعلم مقارنة الأديان وجه من وجوه الدفاع عن الإسلام في مواجهة المهاجمين له والطاعنين فيه، فنحن عاجزون عن فهم الآخر إن لم نفهم دينه الذي ينتمي إليه؛ لأن الدين أحد المحركات الرئيسة للجنس البشري، فمن واجب الدعاة المسلمين النهوض بهذا العلم، وننبه على أنه ما اعتنق الإسلام أحد ممن يعتد به إلا بعد أن سلك هذا الطريق، ودرس هذا العلم، فتبليغ رسالة الإسلام العالمية التي هي أمانة ألقيت على عاتق المسلمين تقتضي معرفة واقع

[1] ينظر: أحمد شلبي، اليهودية، ص 31.

[2] ينظر: محمد عزت الطهطاوي، الميزان في مقارنة الأديان، حقائق ووثائق، دار القلم، دمشق، ط 2، 2002م ص9-10.

الناس الفكري والعقدي؛ للتمكن من عرض الحقيقة ودفع الشبهات وإقامة الحجج والبراهين[1].

والداعية المتميز عليه أن يسير على هدي القرآن الكريم والسنة النبوية للترغيب في الإسلام بمنهج المقارنة، لما في ذلك من حوافز ودوافع، والموعظة الحسنة من الأساليب الراقية في التأثير، ومن وسائل الترغيب ما يعرض من الأمثلة والشواهد التاريخية المقارنة التي جرت فيها سنة الله في الثواب والعقاب، وذكر قصص الأمم السابقة، وما جرى لهم أو عليهم، كقصص بني إسرائيل مع رسلهم، وما جرى للذين آمنوا بهم من نصرة الله لهم، وما نال الذين كفروا وكذبوا رسلهم، وأجرموا، وأفسدوا في الأرض من عذاب مهلك لهم، ومن تدمير لمساكنهم وبلدانهم، والترغيب بما يعرض من مشاهد يوم القيامة بما فيها من جنات ونعيم لمن أسلم وحسن إسلامه، فالداعية الناجح يستفيد من هذا الأسلوب؛ لاسيما وأن القرآن الكريم مليء بالآيات التي تخاطب الناس في هذا الشأن، وعلى الداعي أن يراعي الحكمة في استخدام أسلوب الموعظة؛ بأن تكون هذه الموعظة موافقة لكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، فتكون موعظة حسنة في موضوعها وأسلوبها وطريقة عرضها، وتكون بليغة مؤثرة، كما روى العرباض بن سارية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: "وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة بليغة، وجلت منها القلوب، وذرفت منها الدموع ...."[2]، وعلى الداعي أن يتحين الوقت المناسب، ويقتصد في الموعظة ويجتنب الإطالة كي لا ينفر، فكثرة المواعظ مملة تضعف تأثيرها في القلوب.

إن لم تجدِ الموعظة الحسنة، ولم تؤثر في المدعو وترده إلى الحق، قد يكون لديه شبهة وشك يحتاج إلى تجلية وإيضاح، وتفنيد بالجدال والنقاش

[1] المرجع نفسه، ص10.

[2] أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، تح. مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، 2002م، كتاب العلم، رقم 392(1174).

والحوار، قال تعالى:﴿وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[1]، والجدال هو أحد الطرق المستخدمة في الدعوة إلى الله لإقناع المدعو، وإزالة الشبهة، وإقامة الحجج والبراهين على صحة الدعوة، والمجادلة بالتي هي أحسن هي المناظرة التي يبتغى فيها الوصول إلى الحق بطريق صحيح[2]، والمناظرة مشروعة بالكتاب والسنة؛ ففي القرآن الكريم ذكر لبعض مناظرات الأنبياء مع أقوامهم، كنوح وإبراهيم وموسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام، وكذلك الثناء من الله على من أوتي الحجة واستطاع إفحام قومه كما قال الله عز وجل عن إبراهيم عليه السلام:﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ﴾[3]، وفي السنة النبوية ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه ناظر وفدا من نصارى نجران بالقرآن الكريم، ثم عرض عليهم من الآيات التي تتضمن ردودا مقنعة عن التساؤلات التي قدموها حول عيسى عليه السلام، وتفنيدا لشبههم عن الإسلام، ودفعا لحججهم الباطلة، مما جعل أبا حارثة وهو أغزر نصارى نجران علماً يسّر إلى أحد رفاقه بقناعته بالذي دعاهم إليه محمد صلى الله عليه وسلم[4]، وقال ابن القيم في قصة وفد نجران: "وفيها جواز مجادلة أهل الكتاب ومناظرتهم بل استحباب ذلك بل وجوبه إذا اضطرت مصلحة من إسلام من يرجى إسلامه منهم وإقامة الحجج عليهم".[5]

وللمناظرة والمجادلة آداب وضوابط ينبغي للداعية مراعاتها، منها: أن يكون الموضوع مما يجوز أن تجري المناظرة فيه شرعاً وعقلاً، فلا تجوز المجادلة في ذات الله تعالى، ولا يجوز الجدال في آيات الله وضرب بعضها ببعض، ولا فيما

---

[1] النحل: من الآية: 125.

[2] عبدالكريم زيدان، أصول الدعوة، بغداد، ط3،1976م، ص460.

[3] الأنعام، من الآية:84.

[4] ينظر: مؤيد الكيلاني، كيف انتشر الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت ، ب ت، ص 118.

[5] ابن القيم الجوزية، زاد المعاد، تح. :شعيب وعبدا لقادر الأرناؤوط، ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط15، 1407هـ، ص639.

غيّب عن الناس ولا سبيل إلى معرفته والعلم به[1]، وأن يكون الموضوع المتجادل فيه معلوماً ومحدداً لدى المتجادلين؛ فلا ينبغي الجدال فيما يُجهل أو ما كان متشعباً أو غير محدد، وأن يكون الهدف من المناظرة إظهار الحق ودفع الباطل، والداعي ينبغي أن يكون لديه إطلاع ومعرفة بالأفكار والمعتقدات، ليقف على ما عند غيره من شبه وأفكار ومعتقدات، فيفندها ويبطلها بما لديه من حجج وبراهين ثابتة بأسلوب المجادلة بالحسنى، مع مراعاة التحلي بمتطلبات النقاش العلمي أثناء الجدال من القول المهذب واحترام الآخرين، وعدم الطعن في الأشخاص والاستهزاء بهم أو السخرية منهم، وعدم مهاجمة أتباع الأديان والعقائد، وتجنب تخطئة المناقش وتسفيه آرائه، والتلطف واللين والرفق في الخطاب، فالجدال مشروط بأن يكون بالتي هي أحسن، قال الحافظ ابن كثير: "أي من احتاج منهم إلى مناظرة وجدال فليكن بالوجه الحسن برفق ولين وحسن خطاب"[(2)]، وعلى الداعية أن يركز على القضايا التي اهتم بها القرآن الكريم في الدعوة؛ فمنها على سبيل المثال: إقامة الأدلة على صدق النبي صلى الله عليه وسلم، وتقديم البراهين والأمثلة على القيم الإنسانية التي يحث عليها الإسلام، وتشتمل المناظرة التي تعد من أبرز الوسائل لدفع أي شبهة تثار على الإسلام، وهي أفضل أشكال الحوار المطلوب، فالدعوة إلى الله سبحانه بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن من أفضل الأساليب في الدعوة إلى الله.

مما تقدم تتضح لنا أهمية دراسة علم مقارنة الأديان؛ لأن التواصل والحوار مع الآخر ضرورة ملحة، ومعرفة دين الآخر تسهم في عيش مشترك وفعال ومفيد، فالأديان تشكل المكون الأساس من ميراث الإنسانية الثقافي والحضاري، ومن ثم فإنه لا يمكن فهم الحضارات والثقافات وقيمها ومفاهيمها ومواقفها إلا إذا فهمنا الأديان التي تنتمي إليها، لأن الدين من أهم العوامل المؤثرة في الإنسان، كما أن دراسة الأديان دراسة منهجية موضوعية تساعد على اكتشاف الذات في

[1] ينظر: عبدالكريم زيدان، المرجع السابق، ص408 وما بعدها.

[2] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط2، دار القلم، بيروت، بدون تاريخ، (2511).

ضوء اكتشاف الآخر، وتنتهي إلى تصور أكثر وضوحا، وإلى فهم أعمق للمشترك الإنساني، وذلك لما تمثله كل ديانة في نظر أتباعها من أهمية بالغة.

إن عالم اليوم وفي ظل تطور المعلوماتية التي جعلت الناس أكثر قربا، وكذلك العلاقات السياسية والاقتصادية والثقافية التي فرضت على الناس التواصل والتعارف فيما بينهم، الأمر الذي يظهر الحاجة الماسة لدراسة الأديان، وذلك تجنباً للفهم الخاطئ للآخر، وللحكم المسبق عليه، وتكريساً للتعاون والتعارف، وتعزيزاً للأمن والسلام بين الشعوب، فدراسة الأديان أصبحت ضرورة حياتية وحضارية، وكذلك يسهم علم مقارنة الأديان في تعميق الشعور بالتنوع والتعددية وتقبل الاختلاف، وقبول الآخرين، والانفتاح عليهم والتواصل معهم، ويسهم في فهم الذات وفهم الآخر.

الخاتمة:

"علم مقارنة الأديان" له أهميته ومكانته وشأنه في الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، وخصوصا في ظل ما يشهده العالم من تغيرات وتطورات على كثير من الأصعدة، وكذلك التقارب المعلوماتي والتواصل الفكري بين الأفراد على مختلف ديانتهم ومللهم وفلسفاتهم، بسبب التقنيات الحديثة، وينبغي إعطاء هذا العلم الذي كان للمسلمين فضل السبق فيه، مزيد العناية والاهتمام، وفي ختام هذا البحث نوجز رؤيتنا وأفكارنا في الآتي:

أولا: الدّين ضرورة للإنسان، وهو الذي يسيّر حركة حياته ونمائه وفق قواعده، والتدين هو أبرز القيّم الإنسانية، بل من أعظمها والتي لا غنى للبشرية عنها، وإن علم مقارنة الأديان الذي عرفه الغرب في القرن التاسع عشر الميلادي، هو من إبداعات الفكر الإسلامي في القرون الأولى للحضارة الإسلامية.

ثانيا: تعد المعارف المتصلة بمقارنة الأديان قيمة مضافة إلى العلوم المعاصرة، وتكملة لما قدمه علماء الإسلام، ولم يعد مجرد أمر تعبدي يقوم به المرء استجابة لتعاليم دينية فحسب، ولم يعد ترفا فكريا، بل أصبح في هذا العصر من التخصصات الشرعية ذات الأهمية.

ثالثا: إذا ما أمعنا النظر في العلوم الشرعية المعاصرة التي تقدمها الجامعات تخصصا؛ فإننا سنقف على عدد من التخصصات منها اللغة العربية وآدابها، القرآن والسنة وعلومهما، وعلم أصول الدين والعقيدة، والفقه وأصوله، ومن الجدير أن يزداد الاهتمام بتخصص مقارنة الأديان، وربطه بالدعوة.

رابعا: ينطلق هذا العلم ليبرز المناهج الموضوعية المختلفة في دراسة الأديان، عقيدة وكتبا وتاريخا، ومن أهم قضايا هذا الحقل ربط الأحداث والمواقف وظواهر الحياة بالأديان، في قضايا جدلية مثل المرأة في الأديان، والحرب في الأديان، وحقوق الإنسان، والحرية الدينية، وموقف الأديان من العلم وبناء الحضارات، وحوار الأديان، وأمثالها من الموضوعات.

خامسا: إن الأهمية الكبرى التي يحظى بها مفهوم الحوار بين الأديان، والتي ما فتئت تتعاظم لتُصبح لها المكانة في مجال الفكر الإنساني، وذلك على الرغم من احتمال أن يُفرغ هذا المفهوم من محتواه إذا ما تم عزله عن سياقه التاريخي، وفصله عن مجاله الأساس وهو علم الأديان، فحوار الحضارات والأديان لم يأت إلا لترسيخ ضرورة الاهتمام بالأديان الأخرى، بغرض الكشف عن عناصر الائتلاف والاختلاف بينها.

سادسا: الحوار متأصل في الفكر الإسلامي، ويعد غاية في الأهمية، ولا يمكن القيام بهذا الأمر إلا بمعرفة الطرف الآخر، ومد جسور التواصل معه، الأمر الذي يستدعي علما بالأديان تاريخا ونقدا ومقارنة.

سابعا: إن علم مقارنة الأديان يتيح للداعية المعرفة العميقة بالأديان، وبفكر الشعوب وحضارتها، لأن الدين هو الذي يصوغ للأمة حياتها، ويشكل عقلها ومعتقداتها، فكلما كان الداعية على علم بالأديان كلما يسر له طريق الدعوة إلى الله على بصيرة، وبيان حقيقة ما يدعو إليه.

ثامنا: بتتبع التنظيم الإداري للأقسام العلمية المتخصصة في العلوم الشرعية من جامعات ومؤسسات أكاديمية في ليبيا، لم نلحظ التسمية الرسمية لقسم علمي يحمل "قسم الدعوة وعلم الأديان" إلا "قسم الدعوة وعلم الأديان" في كلية

الدراسات الإسلامية سبها بالجامعة الأسمرية الإسلامية، وإننا ندعو المؤسسات العلمية والدعوية للاهتمام بعلم مقارنة الأديان، ذلك أن هذا العلم منذ بدايته على يد نخبة علماء الإسلام وحتى عصرنا الحالي، يعد حقلا معرفيا متطوراً وفق المعطيات العلمية، وأنّ المقارنة تحتاج إلى مجهود علماء علم مقارنة الأديان، بحيث تكون مبيّنة على أسس معرفية صحيحة، كما أنّ علم مقارنة الأديان في المؤسسات العلمية والبحثية المهتمة به قد بلغ شوطاً كبيراً في أخذ مكانته اللائقة به في مصاف المعارف الحديثة، والذي يشكل فيه سمو الإنسان واحترام آدميته الهدف الأسمى.

وأخير إن علم مقارنة الأديان يعد إضافة للعقلية المنهجية الإسلامية في دراسة الدّين، ومن الأولى للمسلمين المحافظة عليه وتجديده، وإن هذا البحث المتواضع إنما يندرج في هذا الإطار، ويحمل أكثر من دلالة باعتباره محاولة للتأكيد غلى أهمية هذا العلم في الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى.

المصادر والمراجع:

أولا/ القرآن الكريم برواية قالون.

ثانيا/ الكتب:

إبراهيم التركي، علم مقارنة الأديان عند مفكري الإسلام، دار الوفاء، مصر، ط1، 2002م.

إبراهيم مذكور، في الفلسفة الإسلامية، دار المعارف، القاهرة، 1968م.

ابن القيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد، تح. شعيب الأرنؤوط، وآخر، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2008م.

ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، دار الجيل، بيروت، ب. ت.

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تح. سامي محمد بن سلامة، دار طيبة، ط2، 1999م.

أبوبكر عبدالله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي، المصنف في الأحاديث والآثار، تح. كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 1409هـ.

أبو عبدالله محمد بن عبد الله النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، تح. مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، 2002م.

أبو عبدالله الزنجاني، تاريخ القرآن، تقديم أحمد أمين، ط12، 1388 هـ.

أبـو عمـار الأثـري، مدونـة أبـو عمـار الأثـري، مـدخل إلـى علـم مقارنـة الأديـان، مقدمـة، الرابط:https://nottansser.wordpress.com/%D2%7A%8D%84%9D%7A%8D%7A%8D%83%9D .

أحمد شلبي، اليهودية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط8، 1988م.

آدم ميتز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة: محمد الهادي أبوريدة، الدار التونسية للنشر، تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1986م.

الإمام البخاري، الجامع الصحيح، تح. محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة، 1400هـ.

حسن الباشا، علم مقارنة الأديان أصوله ومناهجه ومساهمة علماء المسلمين والغرب في تأصيله، دار قتيبة، دمشق، سوريا، ط1، 2011م.

عبد الرحمن بدوي، مناهج البحث العلمي، وكالة المطبوعات، الكويت، ط3، 1977م.

عبد الكريم زيدان، أصول الدعوة، بغداد، ط3، 1976م.

عثمان جمعة ضميرية، مقدمة لكتاب: هداية الحيارى، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط1، 1429هـ.

محمد أحمد الميسر، المدخل لدراسة الأديان، دار الندى، مصر، ط1، 2001م.

محمد الشرقاوي، مقارنة الأديان: بحوث ودراسات، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 2002م. محمد عبد الله دراز، الدين، بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، دار القلم للنشر والتوزيع، القاهرة، 2006م.

محمد بن أبي القاسم عبدالكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، الملل والنحل، تح. أبي محمد بن فريد، المكتبة التوفيقية، القاهرة، ب. ت.

محمد خليفة حسن أحمد، علاقة الإسلام باليهودية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، مصر، ب. ت.

محمد سيد طنطاوي، أدب الحوار في الإسلام، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، 1997م.

محمد عزت الطهطاوي، الميزان في مقارنة الأديان حقائق ووثائق، دار القلم، دمشق، ط 2، 2002م.

محمد وقيع الله أحمد، الإسلام في المناهج الغربية المعاصرة، ط 2006،1م.

مؤيد الكيلاني، كيف انتشر الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت ، ب. ت.